دراسة ظاهرة التذكير والتأنيث في اللغات السامية واللغات الأوروبية وكيفية الاستفادة منها في تدريس اللغات

(دراسة مقارنة)

الملخص:

هدفت هذه الدراسة إلى المقارنة بين اللغات السامية واللغات الأوروبية وأشكال الإفادة منها في التدريس. واهتم هذا البحث بدراسة ظاهرة التذكير والتأنيث في الضمائر والأسماء والصفات، حيث قام الباحث بالمقارنة بين اللغات السامية (العربية، والأكادية، والآرامية، والحبشية، والسريانية، والعبرية) من جهة، واللغات الأوروبية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية) من جهة أخرى، وقد حاول هذا البحث الإجابة عن الأسئلة الرئيسية التالية: (1) ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات السامية والأوروبية فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر؟ (2) وهل يمكن الإفادة من المقارنة بين هذه اللغات في عملية تدريس اللغات؟ ومن هنا قد يكون هذا البحث من المحاولات القليلة التي درست ظاهرة التأنيث والتذكير مع ربطها بالتدريس الفعلي في غرفة الصف. وقد أظهرت النتائج أن ثمة تشابها فيما بين اللغات السامية ومثله بين اللغات الأوروبية. وبينت النتائج أن ثمة تشابها إلى حد ما بين اللغات السامية و اللغات الأوروبية.وتوصلت الدراسة إلى إن تدريس التأنيث لطالب لغته الأم من العائلة نفسها أسهل من تدريسه لطالب لغته الأم من عائله أخرى. وأكدت النتائج ضرورة تدريس الحالات المنتظمة، ومن ثم الحالات الشاذة.و في نهاية البحث قدم الباحث بعض التوصيات التي يمكن أن تخدم الباحثين في مجال اللغويات المقارنة.

الكلمات المفتاحية: اللسانيات التقابلية، اللغات الأوروبية، اللغات السامية، التأنيث، التذكير، تدريس اللغات.

The Study of the Feminine and Masculine Phenomena in the Semitic and European Languages and How it Can be Utilized in Language Teaching: A Comparative Study

Dr. Nedal Awwad Bani-Hani

Head of the Department of English Language and Literature

Irbid University College, Al-Balqa' Applied University

Irbid, Jordan

Abstract

The per se of this ad hoc study was to compare between Semitic languages and European languages in Masculine and Feminine

phenomena and how this comparison can facilitate the teaching of these languages. The comparison was in the pronouns, nouns and adjectives. The questions were: (1) what are the similarities and differences among the two families in Masculine and Feminine? (2) to what extent can the teachers of languages benefit from this comparison? The results reported similarities among Semitic languages and similarities among European languages. The findings further revealed that the two families have some common features regarding Masculine and Feminine. As for teaching, teachers should start with regular forms rather than irregular forms. Teaching Masculine and Feminine is easier to students whose mother tongue from the same family. Finally، some recommendations for further research were put forth.

Key Words: Contrastive Linguistics, European languages, Semitic languages, Masculine, Feminine, Teaching Languages.

المقدمة:

ليست الدراسات التي تناولت ظاهرة التذكير (Masculine) والتأنيث (Feminine) بقليلة. فقد تنبه العلماء لذلك منذ زمن مبكر، حيث قام (ابن جني، ١٩٨٥) و(أبو بركات بن الانباري١٩٧٠)... وغيرهم بدراسة هذه الظاهرة وإلقاء الضوء على مختلف الجوانب المتعلقة بها، ولعل أوفى دراسة من دراسات القدماء لهذا الموضوع تلك التي قام بها (أبو بكر الانباري، ١٩٧٨) في كتابه "المذكر والمؤنث" حيث كان كتابا شاملا ومتخصصا بهذا الموضوع بعينه.

بيد أن هذا الموضوع ظل شائكا وصعب الاقتحام حتى لقد وصفه بعض الباحثين (بيرجشترير، ١٩٨٢ ص: ١١٥) بأنه من أعسر ما يواجه الباحث اللغوي، إلا أن العلماء والباحثين تنبهوا إلى أهمية هذا الموضوع في العصر الحديث حينما أطل علينا علم اللسانيات التقابلية (Contrastive Linguistics) وهو العلم الذي يعنى بالمقارنة بين لغات العالم من أجل الإفادة منها في عملية التدريس،لأن علم تدريس اللغات أصبح علما مهما ومستقلا بذاته عن بقية العلوم ويحمل خصائص خاصة به تختلف عن بقية علوم الإنسان.

ومما لا شك فيه أن جهود القدماء في هذا المضمار كانت مفيدة وقيمة في بحث هذه الظاهرة وتوابعها، فقد استطعنا من خلالها أن نقف على القواعد الأساسية للتأنيث القياسي وصيغه المختلفة، والقوائم الإحصائية للمؤنثات السماعية، وقد بذل علماء السلف جهودا طيبة في ترتيب هذه القواعد والقوائم، وبسطوا في عرضها وشرحها نثرا ونظما، كما فعل ابن الحاجب وابن مالك وغيرهما، ولكن مجال البحث ما زال قائما حيث أنه لا يمكن إقفال الطريق أمام الخوض في أي مجال أو ظاهرة ؛ لأن

الظاهرة حينما تدرس من جهة تختلف عنها حينما تدرس من جهة أخرى؛ فقد واجهت القدماء وسائل كثيرة شائكة لم تحل، وقد اشتد النزاع حولها وكل يطرقها بأسلوبه ويخرج إلينا باستنتاج جديد ومختلف عن غيره، (فسيبويه، ١٩٦٠) – مثلا – كان غامضا أحيانا في موقفه من التاء في نحو بنت وأخت أهي تاء التأنيث أم تاء العوض؟ وقد عدها أبو بركات الأنباري للتأنيث، أما ابن منظور فقد رفض رفضا قاطعا اعتبارها للتأنيث.

وثمة مسائل أخرى لم تواجه القدماء ؛ لأنها لم تطرح ابتداء كالتاء في كثير من الكلمات مثل السبت، الرحموت... لكن علم الساميات فتح المجال إلى اعتبار التاء في هذه الكلمات ونحوها للتأنيث. ولماذا قيل في العربية: امرأة عاقر وحامل وجريح وصبور بدون علامات التأنيث؟ ولماذا تعددت علامات التأنيث، فلم تكن واحدة فقط ؟ فهي في العربية التاء المربوطة والألف الممدودة والألف المقصورة، وقد تعددت في اللغات السامية الأخرى، ولماذا استخدمت علامات التأنيث في نحو "سحرة" أو "مهرة"؟

بيد أن ما يدعونا لدراسة هذه الظاهرة من جديد ليس بهذا وذاك من المسائل الجزئية التي لا تخرج الخلاف فيها عن إطار تراقب فيه الظاهرة من جهة واحدة، و إن مما يستدعي دراسة هذه الظاهرة أن أدوات البحث وإمكاناته ومناهجه قد يسرت ونمت فكان علينا – حينما استدعى الأمر– أن نفيد من هذه الأدوات في زيادة الإضاءة حول الظاهرة لكي نستكمل الصورة، ونستجلي معالمها التي لم تستطع الأدوات القديمة أن توضحها. ولعل من أكثر الأشياء دلالة على تطور مناهج البحث هو سهولة الحصول على الدراسات المتعلقة بالموضوع عن طريق الإنترنت التي حولت العالم إلى قرية صغيرة، وأصبح بمقدورنا الحصول على أية معلومة نريدها خلال دقائق معدودة، إضافة لذلك فإن تطور علم الحاسوب والطباعة والنشر ساعد كثيرا في هذا المضمار.

ويقوم هذا البحث على منهج لغوي مقارن (Comparative Approach)، حاول الباحث فيه توضيح ظاهرة التأنيث في العربية على ضوء دراسة هذه الظاهرة في شقيقاتها من اللغات السامية كالسريانية والعبرية والحبشية والأكادية وغيرها، مدعما ذلك ببعض المداخلات المتعلقة بالتذكير والتأنيث المأخوذة من بعض اللغات الأوروبية مثل الإنجليزية والألمانية والفرنسية والإيطالية، ولذلك يبدو جليا أن هذه الدراسة لم تهتم بلغة بعينها، وإنما هي دراسة عامة شاملة لمعظم اللغات العالمية المستخدمة للتواصل البشري، وعلى مستوى التذكير والتأنيث بخاصة.

مشكلة الدراسة:

تقوم الأنظمة التربوية في العالم العربي على تدريس لغة أجنبية واحدة على الأقل للطلاب ويتم صرف أموال طائلة لتحقيق هذا الهدف؛ ففي مصر والأردن مثلا تُدرس اللغة الإنجليزية منذ الصف الأول الابتدائي حتى مرحلة الدكتوراه، أما في الدول الخليجية فتُدرس منذ الصف السابع حتى نهاية المرحلة الثانوية، وفي سوريا ولبنان والجزائر وتونس والمغرب فيُدَرسون اللغة الفرنسية في مختلف المراحل التعليمية. وفي ليبيا يدرس الطلبة اللغة الايطالية. وبما أن الباحث دَرَّس اللغة الانجليزية في المعاهد والجامعات الأردنية لفترة تزيد عن عشرين عاماً فقد لاحظ ضعفاً واضحا في مستوى الطلبة في اللغة الانجليزية. والسؤال الذي غالباً ما يشغل تفكير المتخصصين هو إلى أي مدى يُتقن طلبتنا هذه اللغات؟ وهل يمكن الاستفادة من المقارنة بين اللغات في التخفيف من حِدة هذه المشكلة؟

أهمية الدراسة:

لا يخفى على أحد أننا نعيش الآن في عصر يختلف كليا عن العصور السابقة؛ فكل شيء يتطور بسرعة كبيرة يكاد يعجز العقل البشري عن فهمها. إضافة لذلك فان اختراع الحاسوب والتقنيات المرتبطة فيه، أدى إلى تسارع هائل في تطور وسائل التواصل الاجتماعي المرئية والمسموعة والمنطوقة (Telecommunications). ومما لاشك فيه أن اختراع شبكة الإنترنت (Internet) جعل عالمنا مجرد قريةً صغيرة يكادُ لا تخفى فيه خافية. وبما أن اللغات تكاد تكون الوسيلة الوحيدة الفعّالة للتواصل البشري (Human Communication) فقد اهتمت مختلف شعوب الأرض في تعليمها وتعلمها. ومن هنا تبرز أهمية هذه الدراسة لأنها تقارن بين التذكير والتأنيث في عائلتين لغويتين(السامية والأوروبية) تحويان أهم لغات العالم المستخدمة للتفاعل البشري (Human Interaction). ليس هذا فقط بل كيفية استغلال هذه المقارنة في تحسين عملية تدريس اللغات في الوطن العربي والعالم.

أسئلة الدراسة:

ستحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الرئيسة التالية:

١. ما هي أوجه الشبه والاختلاف بين اللغات السامية والأوروبية فيما يتعلق بالمؤنث والمذكر؟

٢. ما الإفادة التي يمكن أن نجنيها من دراسة هذه الظاهرة في تدريس اللغات؟

واللافت هنا أن هذه الأسئلة تبدو سهلة المراس للوهلة الأولى، إلا أنها من الصعوبة بمكان ؛لأنها تناقش قضية في منتهى الدقة في اللغات، فمثلا إذا كانت وظيفة علامات التأنيث التمييز بين المذكر والمؤنث. لماذا احتاجت اللغات السامية، ومنها العربية، إلى التمييز بين المذكر والمؤنث بغير تلك العلامات، فقيل رجل وامرأة، وحمار وأتان، وجمل وناقة،وحصان وفرس،وكبش ونعجة ولم يقل – عادة – في امرأة: رجلة، ولا في مؤنث تيس تيسه.(بروكلمان، ١٩٧٧، ص: ٩٥).

هدف الدراسة:

هدفت هذه الدراسة إلى المقارنة بين اللغات السامية واللغات الأوروبية وأشكال الإفادة منها في التدريس. واهتم هذا البحث بدراسة ظاهرة التذكير والتأنيث في الضمائر والأسماء والصفات، حيث قام الباحث بالمقارنة بين اللغات السامية (العربية، والأكادية، والآرامية، والحبشية، والسريانية، والعبرية) من جهة، واللغات الأوروبية (الإنجليزية، والفرنسية، والألمانية، والإيطالية) من جهة أخرى. وقد سعت هذه الدراسة إلى أن تكون شمولية، فتناولت جنس الاسم في اللغات السامية، واستعانت ببعض الأمثلة من اللغات الأوروبية، إضافة إلى التعريف بأصل التذكير والتأنيث، والتأنيث الحقيقي والمجازي، والقياسي والسماعي، وعلامات التأنيث في الأسماء والضمائر، وغير ذلك.

جنس الاسم في اللغات السامية والأوروبية:

من القواعد المقررة في العربية أن الاسم يقسم من حيث الجنس إلى قسمين وهما: مذكر ومؤنث، وهي قاعدة مقررة أيضا في اللغات السامية الأخرى، ولا يعرف خروج على هذه القاعدة، وحتى ذلك القسم الثالث: "الخنثى" (neuter) الذي ليس ذكرا ولا أنثى (ابن منظور، ٢٠١١،ص: ٢٨) تعاملت معه اللغة معاملة المؤنث أو المذكر، ولم تخصه بمعاملة مميزة، لقد ألحقت اللغة العربية بكلمة خنثى الألف المقصورة، وهي من علامات التأنيث، وجمع على "خنائى" كما تجمع حبلى على حبالى، ولذلك نجد أن اللغة العربية لم تخص هذا النوع الثالث من الجنس بمعاملة تفضيلية أو مميزة، ولم تفرد له معاملة خاصة، وإنما جعلته مذكرا أو مؤنثا. وقد يُخيل للمرء الذي يفكر تفكيرا محليا داخل إطار إحدى اللغات السامية أو ضمن إطارها عموما، أن هذه هي الحال في اللغات الأخرى، ولكن الأمر ليس كذلك. فمما يقرره علماء اللغة أن بعض اللغات البدائية تنوع أجناس الموجودات الكونية تنويعا طريفا، ويربطون ذلك التنوع بمعتقدات تلك الشعوب وتأملاتهم الخرافية (بروكلمان،١٩١٦، ص:١٠٦-١٠٧). ولنأخذ أمثلة من اللغات الأوروبية لنرى كيف تتعامل هذه اللغات مع موجودات الكون من زاوية الجنس.

فالألمانية مثلا تقسم الأشياء إلى مذكر (Masculine) ومؤنث (Feminine) ومحايد (Neutral). أما المذكر على الحقيقة فهو الذي يكون له مؤنث من جنسه، فهو في الغالب مذكر في جنسه اللغوي وله أداة تميزه في حال الرفع هي: (der) وكذلك المؤنث على الحقيقة، فإنه مؤنث من حيث التعامل اللغوي، وأداته المميزة هي: (die)، وثمة جنس ثالث، وهو ما ليس بمذكر ولا مؤنث من حيث التعامل اللغوي، وله أداة خاصة به، هي (das) ولا نريد أن نخوض فيما لهذه القواعد من ملابسات ليس هذا مقامها. فحسبنا أن نرى كيف أن اللغة الألمانية لا تكتفي بتعاملها مع الأسماء من خلال قسمتها إلى مذكر ومؤنث، فثمة جنس آخر هو المحايد (Neutral). وعلى هذا فإن كلمة: Mann "رجل" مذكر وكلمة Frau "امرأة" مؤنث. وأما المحايد فنحو (Kind "طفل" أو طفلة"، ولكن هذه القاعدة لم تبق على حالها مع تطور الزمن، حتى عند التفريق بين المذكر والمؤنث، والمحايد لا يعتمد على الواقع الطبيعي لهذه الأشياء بمقدار ما يعتمد على علامات لغوية بحتة لا علاقة لها بالجنس، وعلى هذا فإن كلمة (Hund) "كلب" هي مذكرة، وأما Pferd "حصان" فهي محايدة و Taube "حمامة" فمؤنثة (ارجع الموقع الالكتروني: http://mylanguages.org/ar/learn_german.php).

أما عن اللغة الإيطالية فإن الوضع يختلف إلى حد ما حيث الأسماء تكون إما مذكرة وإما مؤنثة مثلا فالتمييز بين المذكر والمؤنث يتم عن طريق وجود الحرف (o) مع الكلمة المذكرة والحرف (a) مع الكلمة المؤنثة، أي أن أداة التذكير والتأنيث في الإيطالية هي الأحرف فمثلا نقول "tu soi italiano" أي أنت إيطالي، ونقول tu soi Italiana أي أنت ايطالية. ومن هنا نجد في الحرف (o) للمذكر والحرف (a) للمؤنث وحتى معنى كلمة امرأة (donna) تنتهي ب (a) ورجل Uomo تنتهي ب (o)، أما بالنسبة للضمائر في الإيطالية فإن الضمير (tu) يكون مذكرا ومؤنثا في الوقت نفسه حيث يعني "أنتَ وأنت"، بينما يختلف التذكير والتأنيث في حالة الضمائر هو (Lui) وهي (Loi)، وهذا يشبه اللغة الإنجليزية حيث الضمير (you) يعني أنتَ وأنت، والضمائر هو (He) للمذكر هي (She) للمؤنث (ارجع الموقع الالكتروني: http://mylanguages.org/ar/italian_feminine.php).

أما في اللغة الفرنسية فإن الوضع يشبه اللغة الإيطالية من حيث إن الجنس هو فقط مذكر ومؤنث، ولا يوجد ما يدعى بالحيادي (Neutral). أما التمييز بين المذكر والمؤنث فيتم عن طريق الأحرف الابتدائية في الكلمة، فمثلا كلمة رجل في الفرنسية تعني (homme) بينما كلمة امرأة تعني (femme). أما فيما يتعلق بالضمائر فإن الإيطالية والإنجليزية والفرنسية تشترك جميعها في أنها تملك الضمير نفسه للضمائر (أنتَ) المذكر و (أنتِ) المؤنث حيث أن هذين الضميرين في الفرنسية يعنيان (Tu) كما

في اللغة الإيطالية تماما، كما أن اللغات الثلاث السالفة الذكر "الإنجليزية والإيطالية والفرنسية" تشترك جميعها في التفريق بين المذكر المخاطب هو والمؤنث المخاطب هي: فالضمير "هو" يعني في اللغات السابقة على الترتيب: (il, lui, He) بينما الضميرهي (elle, loi, she)؛ ولأن هذا الموضوع ليس هو إلا جزء من هدفنا في هذا البحث فسنكتفي بهذه المقارنة البسيطة بين هذه اللغات (ارجع الموقع الالكتروني: http://mylanguages.org/ar/learn_french.php).

واللافت هنا أن الإنجليزية ألغت الفروق الشكلية بين ما هو مذكر ومؤنث، وغير عاقل ولم يعد باقيا منها سوى الضمائر: (He, she, it) مقسمة الأشياء في الإنجليزية على ميزان آخر، فهي إما مذكرة عاقلة (he)، أو مؤنثة عاقلة (she)، أو غير عاقلة (it)، بغض النظر عن جنسها في الطبيعة. أما اعتبار العقل وعدم اعتباره ما كان ليغيب عن العقلية العربية لغويا، فقد عاملت العربية جمع غير العاقل معاملة المفرد المؤنث، فيقال: هذه جِمال، وتلك جِبال، إلى جانب: هؤلاء وأولئك على نحو ما ورد في القرآن الكريم "إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُ أولئك كان عنه مسؤلاً (سورة الإسراء،١٧).

وهكذا فإن الأسس التي تبنى عليها هذا التقسيم تختلف من لغة إلى أخرى وفقا لتصورات الشعوب – عبر تاريخ كل منها – لموجودات هذا الكون بل إن بعض اللغات لا يأخذ بمفهوم الجنس باعتباره قسما من أقسام النحو، ويحلون محله مفاهيم أخرى، مثل الطبقة الاجتماعية أو ترتيب الأشياء حسب الأهمية (ماريو باي،١٩٧٠،ص:٣١) أو يبنون ذلك على أسس مختلفة تماما، كما في لغات البانتو وبعض اللغات الأصلية في القارة الأمريكية (بروكلمان، ١٩١٦، ص :٤٠٤)

ونتيجة لكل ما سبق؛ فإن اللغات السامية لم تخرج عن قاعدة تحصر فيها الأشياء في نوعين: مذكر ومؤنث، وهذه القاعدة مع قواعد أخرى كثيرة تؤكد أن وجه الشبه بين لغات هذه الأسرة أوسع من ذلك الذي يجمع بين مجموعة اللغات الأوروبية. ويرى بعض الباحثين أن الجنس في اللغات السامية ربما كان ذات يوم تجاوز حصره في المذكر والمؤنث، فيرى كل من بروكلمان و فيشر أن هذا التقسيم قد تم في مرحلة متأخرة نسبيا، ويتخيل (بروكلمان، ١٩١٦،ص :٤٠٢) أن اللغات السامية ربما كانت ذات يوم على نحو ما هي الحال في لغات البانتو وبعض اللغات الأصلية في أمريكا، أي من اللغات التي لم تعرف هذا التقسيم الذي يعتمد على سلك الموجودات منظومتين متوازنتين: المذكر والمؤنث. ويبدو أن هنالك علاقة خفية تضبط تطور لغات العالم.

المؤنث الحقيقي والمؤنث اللغوي:

قد يلتقي غير علم من العلوم على أحد الألفاظ اللغوية، ولكن مدلول ذلك اللفظ يختلف في الدلالة من علم لآخر، ولنأخذ مثلا على ذلك مصطلح "فاعل"، فهو مرادف للمجرم في القانون"، وهو مرادف للعامل في الزراعة والعمل الحرفي، وهو في اللغة غير هذا وذاك. ولذا كان لزاما أن يراعى ما اصطلح عليه في كل فن من الفنون، وإلا حصل لبس بل تناقض أحيانا.

أما المصطلح اللغوي، وإن كان المدلول المعنوي المعجمي قد يلمس فيه على نحو أو آخر، إلا أن المدلول اللغوي الشكلي المحض قد يؤخذ في الاعتبار أكثر من سواه، وعلى هذا صح أن تعتبر "الرجل" أو "الزجاج" فاعلا للفعل مات، و "انكسر" في الجملتين "مات الرجل" أو "انكسر الزجاج"، وهذا بحاجة إلى استيعاب الفرق بين المدلول الاصطلاحي للفاعل والمفعول به ومدلول الكلمة اللغوي قبل الاصطلاح بوصفها مفردة من مفردات اللغة. لذا كان لزاما أن نميز بين مدلول "المؤنث" من الناحية الاصطلاحية وفقا لما يتطلبه علم اللغة، والمفهوم المعجمي أو التشريحي.فهذه المفاهيم وإن كانت تلتقي بمقدارها إلا أنها تفترق بمقدار قد يقل أو يزيد عن مقدار ما التقت عليه، بل قد ينقلب إلى الضد، فيصبح المؤنث في المصطلح اللغوي نحو معاوية، وطلحه مذكرا في الحقيقة والمعنى، وللتوضيح انظر الجدول الأول.

جدول رقم (١)

العربية	الإنجليزية	الألمانية	الفرنسية	الإيطالية
أم	Mother	Mutter	Me're	Madre
أب	Father	Vater	Pe're	Padre
أخ	Brother	Bruder	Fre're	Fratello

ونلاحظ في هذا الجدول أن هذه اللغات "العربية والإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية" لم تعتمد على علامة معينة في التفريق بين المذكر والمؤنث، وقد ظل كثير من الأسماء المتمكنة الحقيقية التذكير متميزة بمادتها اللفظية عن قبيلتها المؤنثة، ومن أمثلة ذلك في العربية: الأب، والجمل، والذكر، والكبش. ويضيف (ابن هشام، ١٩٧٩،ص:٢٨٦) "وقد أنثوا أسماء كثيرة بتاء مقدرة"، ويفهم من ذلك أن الأصل في هذه الكلمات "في الجدول" أن تكون منتهية بتاء التأنيث، وهذا يخالف ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن التأنيث لم يكن عماده في الأصل العلامة اللغوية، بل عن

طريق المخالفة اللفظية بين مادة المذكر والمؤنث كما في: "أم" و "أب" و "رجل" وامرأة" و"بقرة" و "ثور" ونحو ذلك.

التأنيث المجازي والتذكير المجازي:

من الراجح أن حمل الأشياء على المذكر والمؤنث مجازيا أمر منوط بتصورات الشعوب لهذه الأشياء، فما اقترب في شكله أو صفته أو قرينته من الأنثى جعلوه أنثى، وإن اقترب من المذكر في أذهانهم عاملوه معاملة المذكر الحقيقي.

ولما كانت أذواق الناس تتفاوت كما تتفاوت عاداتهم وتتمايز تقاليدهم وأعرافهم، فإن اللغات أيضا تختلف باختلاف الأمم في اختلافها على تذكير الأشياء أو تأنيثها مجازيا، فقد تؤنث الألمانية ما تذكره غيرها، وقد تؤنث العربية ما تذكره هاتان اللغتان، وقد نجد اسما مؤنثا في الفارسية ومذكرا في الإيطالية والفرنسية وهكذا، وهذا التمايز بين اللغات يعتبر ظاهرة طبيعية – كما ذكرنا سابقا – لأن اللغات تختلف طبقا للشعوب وعادات وتقاليد الشعوب التي تستخدمها. وقد تختلف الأعراف في اللغة الواحدة، فنجد ألفاظا يجوز فيها التذكير والتأنيث.ومن الأمثلة على ذلك في العربية أن الريح تؤنث كما في قوله تعالى: (وَلِسليمانَ الريحَ عاصفةً)(سورة الأنبياء، أية٨١). وتذكر كما في قوله تعال: (ريحٌ عاصِفٌ) (سورة يونس، أية ٢٢).

ومثل ذلك في الإنجليزية فالكلمات (student) و (pupil) و (chairman) يمكن تذكيرها أو تأنيثها حسب السياق(context).أما في السريانية فيجوز التذكير والتأنيث في كلمات مثل "رَوحا" أي روح"، أو "شمسا" بمعنى شمس"، أو "سهرا" بمعنى شهر".

واللافت هنا أن بعض الكلمات أو الألفاظ التي أجيز فيها التذكير والتأنيث في اللغة السامية الواحدة قد أجيز فيها التذكير والتأنيث في لغة سامية أخرى، ومن ذلك مثلا أن كلمات نحو: روح وطريق وريح قد أجيز فيها التذكير والتأنيث في كل من العربية والعبرية والسريانية.

وقد أكد (أبن جني،١٩٨٥) على أن اختلاف استخدام المؤنث والمذكر في العربية مرده إلى اختلاف القبائل (Tribes) التي تتحدث العربية، وإلا كيف نستطيع أن نفسر استخدام بعض المفردات التي شاع فيها التذكير على أنها مؤنثة أو العكس نحو: أوجعني ضربك وأوجعتني ضربك، وأضاف فيشر إلى أن بعض العادات اللغوية ما تزال قابلة للاطراد إلى يومنا هذا، ومن ذلك – مثلا – أن أسماء المدن يغلب أن تكون مؤنثة في اللغات السامية، فيقال: هذه دمشق وهذه بغداد... الخ.

وكما أشار (ابن يعيش، ٢٠٠١، ج ٥،ص :٨٨) إلى أن الغالب في اللغات السامية ومنها العربية التذكير حيث أن التأنيث يعد أقل عددا؛ ولذلك احتاج إلى أداة لتمييزها. ويبدو أن هذا ينطلي على غالبية لغات العالم فيقال مثلا ما ترجمته "المرأة جيدة".

- بالإنجليزية The woman is good.
- وبالألمانية Die frau ist gut .

فالصفاتgut و good لم تلحق بأي منها علامة التأنيث، بل ظلت على حالها التي يخبر فيها عن المذكر، أي أن الكلمة حين تكون صفة فإنها تبقى على حالها مع المذكر في الفارسية والإنجليزية، فيقال في الإنجليزية "The good woman"و "The good man" أما في اللغة الانجليزية فهنالك صفات لا تأتي إلا مع المؤنث (مؤنثة)، ومثال ذلك الصفة (beautiful) فنقول (beautiful woman/ girl) لتعني امرأة أو فتاة جميلة وصفات لا تأتي إلا مع المذكر (مذكرة) ومثال ذلك الصفة (handsome) فنقول (handsome man / boy) لتعني رجل أو ولد أنيق.وهذا يشبه العربية حيث نقول" امرأة جميلة ورجل وسيم".

وفيما يتعلق باللغة الايطالية فان الصفات تأتي منسجمة (من حيث التذكير والتأنيث) مع الأسماء والضمائر من حيث النهايات فنقول (Questa una prava donna) لنعني (هذه امرأة جميلة)، حيث نلاحظ أن الصفة والاسم والضمير كلها انتهت بحرف العلة (a). أما في حالة المذكر فنقول (Questo uno pravo ragazzo) لنعني (هذا رجل جميل). ونلاحظ هنا أن الاسم والضمير والصفة انتهت جميعها بحرف العلة (O). والألمانية أيضا مالت إلى التخصيص في هذه الحال، فميزت بين المذكر والمؤنث، فقيل gutter man "رجل طيب" و gute frau "امرأة طيبة"، وفي المحايد gutes kind أي طفل طيب "طفلة طيبة". ويبدو أن التشابه واضح بين اللغات الأوروبية في هذا الجانب ومرد ذلك قد يكون إلى أن اللغات الأوروبية جميعها جاءت من أصل واحد وهو اللغة اللاتينية (Latin). (ارجع إلى الموقع الالكتروني: (http://mylanguages.org

الميل إلى التخصيص في اللغات السامية والأوروبية من خلال تحديد الجنس

يظهر الميل إلى التخصيص في اللغات السامية في التذكير والتأنيث ما نجده من ميل إلى الفصل الواضح بين المذكر والمؤنث، وكذلك في اللغات الأوروبية، فقد حسم الأمر في جميع هذه اللغات حيث حصر في نوعين فحسب: المذكر والمؤنث وكذلك الحال في صيغ الأفعال والصفات والضمائر. ولنضرب مثلا على ذلك بما يقابل الضمير (you) في الإنجليزية (du) في الألمانية و (تو) بالفارسية و (tu) بالإيطالية، ومعناه في كل

هذه اللغات (أنت أو أنت) على حد سواء دون التفريق بين المذكر والمؤنث وانظر فيما يلي إلى صورة هذا الضمير في اللغات التالية:

جدول رقم (٢)

صورة الضمير أنتَ وأنتِ في اللغات المختلفة

اللغة / النوع	العربية	الحبشية	الأكادية	العبرية	الآرامية	الإنجليزية	الألمانية	الفرنسية	الإيطالية
المخاطب	أنتَ	أنتَ	أتَ	أتا	أنتَ	you	du	Tu\vous	tu
المخاطبة	أنتِ	أنتِ	أتِ	أت (أت)	أتِ	you	dir	vous	tu

ومن هذا الجدول يتبين بوضوح أن اللغات السامية تفرق بشكل جلي بين المذكر والمؤنث وأكثر وضوحا من اللغات الأوروبية حيث أن اللغة الأوروبية (الألمانية والفرنسية) فرقت بينهما بينما في اللغات والإنجليزية والإيطالية كانت الضمائر نفسها ولم تفرق بين المذكر (أنتَ) والمؤنث (أنتِ).

أما إذا أخذنا الضميرين (هو) للمذكر و(هي) للمؤنث بعين الاعتبار فإن الأمر يختلف إلى حد بعيد، فقد تم التمييز بينهما في اللغات السامية بشكل واضح واللغات الأوروبية، فنستخدم الضمير (she) للمؤنث والضمير (he) للمذكر في اللغة الإنجليزية بينما نستخدم الضمير (lui) في الإيطالية ليعني (هو) والضمير (loi) ليعني (هي)، أما في اللغة الفرنسية فالاختلاف واضح حيث إن الضمير هي يقابله (elle) والضمير (هو) يقابله (il)، أما عن الضمائر (هم وهن) فيقابل هذين الضميرين في الإنجليزية الضمير (they)، أما في الإيطالية فيقابلها الضمير (loro)، وفي الفرنسية يقابل هم الضمير (ils) وهن الضمير (elles). ولعلي لا أغالط إذا قلت أن جوانب التشابه والاختلاف واضحة ولا داعي لتكرار ما ذكر سابقا عن مقارنة الضمائر في هذه اللغات.

التأنيث القياسي:

يعد القياس من أهم الوسائل التي تساعد المستعمل اللغوي على ائتلاف اللغة، والأخذ بناصيتها، وهو من الطرق المنطقية التي يحاول المرء من خلالها الدخول إلى الظاهرة اللغوية.على أن القياس لا يعدو أن يكون مفتاحا من مفاتيح هذه الظاهرة، تنفتح به أبواب وتغلق أخرى، وهذا راجع إلى أن الظاهرة اللغوية، رغم أنها ثمرة من ثمار العقل، إلا أنها لا تخضع دائما للتحليل العقلي أو المنطقي، فما يعد منطقيا في لغة ما

نجد ضده في لغة أخرى، بل قد نجد ضده في اللغة نفسها. فالقياس من مستلزمات التفكير اللغوي، بوصفه وسيلة هامة في التعامل مع اللغة ولا بد من إظهار أهميته في ظاهرة المذكر والمؤنث.

ومن المعالم القياسية الأساسية التي تستخدم للتمييز بين المذكر والمؤنث ما عرف بعلامات التأنيث، وهو كما أوردت كتب اللغة "للمؤنث علامات ثلاث" (أبو البركات ابن الأنباري، ١٩٧٠، ص:٤٧) وهي الهاء كما في كلمة قائمة، والألف الممدودة كما في كلمة "حمراء"، والألف المقصورة كما في حبلى.ولكن هذه العلامات الثلاث لا تكفي وحدها في التمييز بين المذكر والمؤنث.فالعربية من أكثر اللغات السامية ميلا إلى التدقيق والتخصيص، وأدرك أبو بكر الأنباري تعدد علامات التأنيث في معرض حديثه عن التذكير والتأنيث، فلم يقتصر على هذه العلامات الثلاث، بل تجاوزها إلى جل ما من شأنه أن يميز المذكر من المؤنث، فذكر خمس عشرة علامة حيث قال: اعلم أن للمؤنث خمس عشرة علامة، ثمان منها في الأسماء، وأربع في الأفعال، وثلاث في الأدوات. فأما اللاتي في الأسماء فالألف المقصورة (ليلى)، والألف الممدودة (حمراء) والتاء (أختْ)، والهاء (طلحة)، والنون (هنَ)، والكسرة (أنتِ)، والياء (هذي)، والألف والتاء في الجمع على نحو مسلمات.وأما اللاتي في الأفعال فالتاء على نحو (قامتْ)، والياء مثل (تضربين)، والكسرة على نحو (قمتِ)، والنون ومثال ذلك كلمة (قمن).وأما اللاتي في الأدوات فالتاء (ربتْ)، والهاء (لات=لاه)، والهاء والألف(إنها). (أبو بكر الأنباري، ١٩٧٨،ص :١٦٦)

وقد فرقت العرب بين المذكر و المؤنث بجعل علامة خاصة بالمذكر في بعض الكلمات، فيقولون في تذكير عقرب عقربان، وفي تذكير ثعلب ثعلبان.وقد نص القدماء على أن هذه الألف والنون لتميز المذكر من المؤنث.ولم يفت ابن عصفور أن يقارن بينها وبين تاء التأنيث فعد الألف والنون تجريان مجرى تاء التأنيث، ولذلك إنما يصغر من الاسم الذي يكونان فيه.(أبو بكر الانباري، ١٩٧٨، ص: ١٦٨)

ولا يبدو أن هذه الطريقة في التذكير قد استعملت في غير العربية من أخواتها الساميات، فالعربية تتوسع بذاتها بطرائق جديدة.فكلمة ثعلب أو عقرب وما شاكلها تدل على الجنس مذكرا ومؤنثا على حد سواء.ولما استدعت الحاجة إلى إظهار الذكور دون الإناث جيء بالألف والنون على نحو ما حصل حين استدعت الحاجة إلى إظهار الإناث فجيء بعلامات التأنيث.

أما إذا أخذنا اللغات الأوروبية بعين الاعتبار، فإنها تعتمد في عملية التذكير والتأنيث القياسي على تغيير حرف العلة في كثير من الأحيان، ففي اللغة الإيطالية مثلا تستخدم كلمة Franco للمذكر وكلمة Franca للمؤنث منها حيث إن التغيير حصل

على حرف العلة (o) وتحول إلى (a) عند التأنيث.وعلى الشاكلة نفسها فإننا نقول أنت إيطالي للمذكر Tu Sio Italiano، بينما نقول أنتِ إيطالية للمؤنث على نحو Tu Soi Italiana، حيث إن التحول الوحيد هنا هو حرف العلة (o) إلى (a) إضافة إلى ذلك فإن Donna امرأة وUomo رجل حيث أن التغيير هنا يشبه اللغة العربية لأنه تغيير كامل.واللافت هنا أنه في الإيطالية نستخدم بعض العبارات للمذكر والمؤنث في الوقت نفسه على نحو "Loro Ofiocamo" حيث تعني "هم يلعبون وهن يلعبن" عبارة "Tusei ilmio amore" والتي تعني "أنتِ حبيبتي وأنتَ حبيبي" في الوقت نفسه.وهناك بعض الحالات المشابهة لذلك فيَ اللغة الفرنسية حيث يستخدم "il" هو و"ell" لتعني هن حيث إن الفرق في حروف العلة.إلا أن اللغة الفرنسية لا توافق العربية والإيطالية في كلمتي رجل وامرأة حيث أن التشابه واضح بين (Homme)رجل و(Femme) امرأة.واللغة الفرنسية تستخدم كلمة (Fille) لتعني ولد وبنت في الوقت نفسه أي أن هذه الكلمة مؤنث ومذكر.أما الإنكليزية فهي مختلفة إلى حد ما، فنحن نستخدم "Boy" ولد و"Girl" بنت أي كلمة مختلفة تماما. (ارجع إلى الموقع الالكتروني: http://mylanguages.org)

وقفة على بعض علامات التأنيث:

ونحاول فيما يلي أن نقف على بعض علامات التأنيث:

وأهمها التاء التي فتح ما قبلها:وهي التي تدخل في الأسماء المعربة غالبا، نحو: فاطمة، وكريمة، وجميلة، وقد تدخل على المبنيات كما في منة (ابن منظور، ٢٠١١،ص: ٢٩٨).ويشترط بعض النحاة أن يكون ما قبل هذه التاء مفتوحا، قال ابن يعيش" التأنيث لا تكون في الأسماء المفردة إلا وقبلها مفتوح، نحو:حمزة، طلحة(ابن يعيش،٢٠٠١،ج١،ص: ٥٥) والتاء الزائد للتأنيث هي التي يلزم ما قبلها الفتحة ويوقف عليها بالهاء كقولنا: دجاجة وما أشبه ذلك (سيبويه، ١٩٦٠، ج٣،ص :٢٢٢) ولذلك رفض ابن منظور اعتبار أن تكون التاء في (بنت) للتأنيث، وذلك لسكون ما قبلها.(ابن منظور، ٢٠١١،ص:٧٧)

ومن علامات التأنيث في العبرية أن تنتهي الكلمة بالتاء التي فتح ما قبلها، نحو شناث (Senat) ومعناها: سنة أو نوم، أو الهاء التي فتح ما قبلها نحو: يلداه (Yaldah) ومعناها بنت. ويبدو أن الفتحة التي تسبق تاء التأنيث جيء فيها في الأصل لغرض صوتي سامي، وهو التخلص من توالي السواكن: فلو وقف على كثير من الكلمات المؤنثة دون أن تحرك بحركة الإعراب لقيل في نحو: كلب: كلبت فالتقى أكثر من ساكنين، ثم جيء بالفتحة بين الباء والتاء لكسر حدة الثقل المترتب على توالي السواكن، فقيل كلبت (كلبة) وهذا ما حصل في اللغة الأكادية حيث أصبحت كلمة: كلب Kalb-um حين التأنيث (Kalb-at-um).

التأنيث بالتاء من غير فتحة تسبقها:

ويبدو أن التاء– دون فتحة تسبقها– هي الأصل وقد عدها جمهور العلماء كذلك في نحو أخت وبنت، ليست للتأنيث، وذهبوا إلى أنها عوض عن الواو المحذوفة إذ أصل (بنت) مثلا: (بنو)، قال ابن منظور في تاء (بنت): وليست التاء فيها بعلامة تأنيث كما ظن من لا خبرة له بهذا اللسان (أبو بكر الأنباري، ١٩٧٠،ص: ١٦٦) وذلك لسكون ما قبلها(ابن منظور، ٢٠١١،ص :٧٥). وفي حديث ابن منظور عن أخت قال: وليست التاء فيها بعلامة تأنيث كما ظن من لا خبرة له بهذا الشأن، وذلك لسكون ما قبلها.هذا مذهب سيبويه، وهو الصحيح.على أن سيبويه قد تسمح في بعض ألفاظه في الكتاب، فقال: هي علامة تأنيث، وإنما ذلك تجوز منه في اللفظ لأنه أرسله غفلا، وقد قيده في باب ما لا ينصرف. (ابن منظور، ٢٠١١، ص :٢٢) & (سيبويه، ١٩٦٠، ص:٢٢١و ص: ٣٦١) & (ابن يعيش، ٢٠٠١، ج ١، ص :٥٣) ويتضح موقف سيبويه من هذه التاء في نحو: بنت وأخت، من قوله ولو كانت كالهاء لما أسكنوا الحرف الذي قبلها، فإنما هذه التاء فيها كتاء عفريت (سيبويه، ١٩٦٠، ص:٢٢١).

فالتاء غير المسبوقة بفتحة هي الأصل في تاء التأنيث، وقد حافظت اللغة العربية على هذه الشواهد الأثرية الدالة على ذلك. ومن الواضح أن اللغة العربية التزمت التاء المسبوقة بفتحة التأنيث.أما اللغات السامية الأخرى كالأكادية والآرامية فقد كانتا تراوحان بين التاء المسبوقة بساكن والتاء المسبوقة بمتحرك.

نتائج الدراسة:

لقد ذكر الباحث آنفا أن هذه الدراسة تركزت حول دراسة ظاهرتي التذكير التأنيث في اللغات السامية واللغات الأوروبية وكيفية الاستفادة منها في التدريس. وقد خلصت الدراسة إلى النتائج التالية:

١. تتمتع اللغة العربية بخصائص فريدة من بين اللغات السامية والأوروبية على حد سواء، فهي تتميز بوجود طرائق عديدة للتأنيث وصلت إلى خمس عشرة طريقة.

٢. اللغات الأوروبية تشترك جميعها ببعض الخصائص المتعلقة بالتأنيث وتختلف بمجملها عن اللغات السامية، ومرد ذلك باعتقاد الباحث إلى أن اللغات الأوروبية كلها تعود إلى أصل واحد وهو اللغة اللاتينية (Latin) أي أنها مشتقة من المصدر اللغوي نفسه.

٣. تشترك اللغات السامية بخصائص عامة تتشابه فيما بينها مثل استخدام الفتحة والتاء والألف والتاء في اشتقاق التأنيث من التذكير.

٤. أن هناك اعتبارا ضمنيا في اللغات السامية لأن يكون المذكر هو الأصل ويتم اشتقاق المؤنث منه، على أن ذلك لا ينسحب على اللغات الأوروبية.

٥. تبين أن تدريس اللغة لشخص لغته الأم من العائلة نفسها يكون أسهل -ذلك فيما يتعلق بالتأنيث -بينما على العكس تماما فإن تدريس اللغة لشخص لغته الأم من خارج العائلة الواحدة يكون أكثر تعقيدا وصعوبة.

٦. تبين ضرورة تدريس الحالات المنتظمة (Regular)ابتداء ومن ثم الحالات غير المنتظمة (Irregular) وذلك بما يتعلق بالمذكر والمؤنث.

توصيات الدراسة:

اعتمادا على هذه الدراسة ونتائجها يوصي الباحث بما يلي:

١. إجراء دراسة مشابهة للمقارنة بين التذكير والتأنيث في الأفعال في اللغات السامية والأوروبية.

٢. إجراء دراسة مشابهة للمقارنة بين التذكير والتأنيث في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة في اللغات السامية والأوروبية.

٣. القيام بدراسة أدوات التأنيث والتذكير في اللغات السامية والأوروبية والمقارنة بينهما.

٤. إجراء دراسات متعددة للمقارنة بين لغتين فقط في أحد الجوانب السابقة سواء كانت من العائلة اللغوية نفسها أو من عائلتين مختلفتين، كأن ندرس ظاهرة تأنيث الأفعال في اللغتين العربية والإنجليزية، أو في اللغتين الفرنسية والألمانية.

٥. إجراء دراسة مشابهة لهذه الدراسة للمقارنة بين لغتين فقط في الأسماء والضمائر والصفات، ومثال ذلك بين العربية والإنجليزية.

المراجع:

١. ابن منظور الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، ٢٠١١.

٢. ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك في ألفية ابن مالك، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٣. ابن يعيش موفق الدين، شرح المفصل، تحقيق الدكتور ايميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، (٢٠٠١).

٤. أبو بركات بن الأنبا ري، البلاغة في الفرق بين المذكر والمؤنث، تحقيق رمضان عبد التواب، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة (١٩٧٠).

٥. أبو بكر محمد بن القاسم الأنبا ري، كتاب المذكر والمؤنث، تحقيق طارق عبد عون الجنابي، مطبعة العاني، بغداد (١٩٧٨).

٦. أبو الفتح بن جني، المذكر والمؤنث، تحقيق طارق نجم عبد الله، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، جدة ١٤٠٥ه- ١٩٨٥م.

٧. بيرجشترير (١٩٨٢)، التطور النموي، طبعة رمضان عبد التواب، القاهرة (١٩٨٢).

٨. سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، دار المعارف، القاهرة (١٩٦٠).

٩. ماريو باي، لغات البشر: أصولها وطبيعتها وتطورها، قسم النشر بالجامعات الأمريكية، القاهرة (١٩٧٠).

١٠. بروكلمان، كارل، فقه اللغات السامية، ترجمة د. رمضان عبد التواب، جامعة الرياض (١٩٧٧).

١١. الموقع الالكتروني: http://mylanguages.org